

المعالجة الدرامية للتاريخ الشفوي الفلسطيني: دراسة تحليلية لمسلسل التغريبة الفلسطينية

**Dramatic Treatment of Palestinian Oral History: An analytical study of (Al-
Taghriba Al-Filistinia) series**

د. عبد الله محمود عدوي - أستاذ مشارك في الاتصال والإعلام - جامعة AITU الأمريكية

**Dr. Abdallah Mahmoud Adway - Associate Professor/ American International
Theism University
adawiedu@gmail.com**

المخلص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في دور المسلسلات الدرامية في توثيق الروايات الشفوية الفلسطينية ونشرها، والحفاظ على التاريخ الفلسطيني، من خلال تحليل التوثيق الدرامي للأماكن والعادات والشخصيات والتراث والملابس والمعلومات والأحداث التي تتضمنها حلقات المسلسل الدرامي. تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل مسلسل التغريبة الفلسطينية، الذي اعتمد على الروايات الشفوية لأحداث وقصص فلسطينية حدثت قبل فترة النكبة الفلسطينية وبعدها. خلصت الدراسة إلى أن المعالجة الدرامية للروايات الشفوية جعلت من تاريخ تلك المرحلة موثقاً بصورة فاقت التوثيق المكتوب في أثرها، حيث صارت صوراً مخزنة بمشاهدتها المحاكية للواقع في عقول جيل من الفلسطينيين الذين لم يعيشوا تلك الأحداث، وباتت مرجعاً لهم في فهم الأحداث التاريخية، ما يجعل الدراما تسهم في حفظ التاريخ الشفوي الفلسطيني من خلال محاكاة الواقع بالاعتماد على الروايات الشفوية ونقلها بصورة للأجيال الشابة واللاحقة، بغية التعرف وفهم تلك المراحل التاريخية. وقد عالج المسلسل عناصر مهمة تسهم في حفظ التاريخ ونقل الصورة الواقعية، حيث اهتم بنقل العادات السائدة وملابس الناس على اختلاف البيئات الجغرافية والطبقات الاجتماعية والمراحل الزمانية، فضلاً عن الأحداث والمعلومات في تلك المرحلة، والأماكن والمعالم، والمحاكاة الرمزية لشخصيات تلك المرحلة.

الكلمات المفتاحية: المعالجة الدرامية، التاريخ الشفوي، الدراما الفلسطينية، مسلسل التغريبة الفلسطينية.

Abstract:

This study aims to study the role of drama series in documenting Palestinian oral history, and preserving this history, through analyzing the dramatic documentation of places, customs and traditions, characters, heritage, clothing, information and events included in the episodes of the drama series. This study used a descriptive approach to analyze of "Al-Taghriba Al-Filistinia" series, which relied on oral narratives of Palestinian events and stories that happened before and after the Palestinian Nakba period.

The study concluded that the dramatic treatment of oral narratives made the history of that historical stage more effective than written documentation, this stage became simulated images of reality stored in the minds of a generation of Palestinians who did not live through those events. It has also become a reference for them in understanding historical events, so drama contributes to preserving Palestinian oral history, which relies on oral narratives by simulating reality and transmitting it pictorially to younger and later generations, with the aim of knowing it and understanding those historical stages. In addition, the series dealt with important elements that contribute to preserving history and expressing a realistic image, as it was focused on depicting the prevailing customs and clothing of people in different geographical environments, social classes, and stages of time, as well as the events and information at that stage, the places and landmarks, and the symbolic simulation of the characters of that stage.

Keywords: Dramatic treatment, oral history, Palestinian drama, Al-Taghriba Al-Filistinia series.

١ . المقدمة

ترتكز الدراما التاريخية التوثيقية على محاكاة التاريخ وأحداثه وأماكنه وشخصياته، حيث يعتبر التاريخ الفلسطيني الشفوي رصيذا دسما لتجارب إنسانية وأحداث كثيرة وقصص عاش أصحابها تفاصيل مهمة، ينبغي الاهتمام بحفظها ونقلها للأجيال اللاحقة التي لم يتسن لها معرفتها، وفهم تلك المراحل الحساسة من تاريخ القضية الفلسطينية بتفاصيلها.

اهتم العديد من المتخصصين في التاريخ بالروايات الشفوية وتوثيقها، توفيراً للمادة التاريخية الفلسطينية بعيداً عن المراجع الأجنبية أو الإسرائيلية التي تغطي الأحداث من زاويتها، فظهرت كتب ودراسات وموسوعات مكتوبة ومرئية يتحدث فيها من عاشوا تلك الأحداث والظروف، لا سيما ما يتعلق بأحداث النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ والنكسة عام ١٩٦٧، فضلاً عن ذلك ومع التحولات في أساليب التلقي في الجمهور المعاصر نحو الأساليب والأدوات الأكثر جذبا، فقد برز الاهتمام بالدراما التاريخية التي تعتمد الروايات الشفوية، والتي نقلت للمشاهد أحداثاً ماضية سواء

التغريب الفلسطينية

حدثت قبل عشرات السنوات أو قبل سنوات قليلة، وصورت له شخصيات ومعالم وتراث تلك المرحلة الزمنية ليعيش أجواءها.

تتأتى أهمية هذه الدراسة في تناولها لواحد من أهم روافد المعرفة بالتاريخ الفلسطيني للجمهور المعاصر، حيث باتت الدراما التوثيقية مصدرا رئيسا لفئات واسعة من الجمهور الفلسطيني الذي يعتمد عليها في معرفة وفهم الأحداث التاريخية، فضلا عن أن هذه الدراما تعتمد بصورة كبيرة على الروايات الشفوية للتاريخ الفلسطيني خاصة ما يتعلق منها بأحداث النكبة وما بعدها.

مشكلة الدراسة

تعتبر الدراما إحدى أساليب التوثيق المهمة في المجتمعات المعاصرة، نظرا لاعتمادها على نقل الأحداث من الكتب أو الروايات الشفوية إلى عالم المحاكاة المصورة، ما يمنحها قدرة على الحفاظ على التاريخ وتوثيقه توثيقا مرجعيا لفئات واسعة من المجتمع، فضلا عن ديمومتها في حفظ التاريخ بمشاهدها المصورة التي تتيح للأجيال اللاحقة الرجوع إليها أيضا، إضافة إلى أنها باتت تلقى جاذبية لدى الجمهور تفوق المراجع التقليدية.

تكمن مشكلة الدراسة في بحثها في دور الدراما والمسلسلات في توثيق الروايات الشفوية الفلسطينية، وكيفية معالجتها، وحفظها للتاريخ، وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن السؤال: كيف تساهم الدراما في توثيق التاريخ الشفوي الفلسطيني وحفظه لدى الجمهور المعاصر؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دور المسلسلات الدرامية في توثيق الروايات الشفوية الفلسطينية ونشرها والحفاظ على التاريخ الفلسطيني، وتحليل التوثيق الدرامي للأماكن والعادات والشخصيات والتراث والملابس والمعلومات والأحداث التي تتضمنها حلقات المسلسل الدرامي.

٢. الإطار النظري للدراسة

الدراما والتاريخ

تعد الدراما من الفنون التي تحاكي أفعال الإنسان وسلوكه، وهي وعاء ثقافي بأسلوب فني جذاب يمكنه حمل الرسائل والمضامين ونقلها إلى الجمهور المشاهد في إطار من الجاذبية والتشويق والمتعة، وقد تنوعت المضامين التي تبثها الدراما بين مواد فكاهية وأخرى اجتماعية وتاريخية كان لها نصيب جيد من حيز المسلسلات والأفلام التي تحاكي التاريخ البشري.

التغريب الفلسطينية

تعرف الدراما التاريخية بأنها الأعمال الدرامية التي تتناول قضايا وأحداث تاريخية، وتحاكي سير الشخصيات التاريخية، من خلال إعادة تمثيل الواقع وفقاً لنصوص تاريخية تحوّل إلى دراما روائية. (١) ومن ذلك أيضاً دراما التاريخ العربي والإسلامي التي تتناول أحداثاً وشخصيات من هذا التاريخ، وتعيد صناعة ذلك الواقع من خلال المحاكاة.

اعتمدت المسرحيات القديمة التاريخ والأساطير التي شكلت الملهم الحقيقي لها ومصدر مادتها؛ فالتاريخ والأساطير يشكلان مصدران من مصادر التأليف المسرحي في الآداب القديمة والحديثة، فمن معينهما يستمد المؤلف المسرحي مادته الخام ليصوغ منها عمله الفني الذي يبث رؤيته الفلسفية الخاصة، ويزاول قدرته التقنية على تشكيل الأحداث المختارة وتفسير دوافع شخصياته (٢)؛ فالأساطير التي تدور حول الشخصيات القديمة والآلهة في التاريخ اليوناني شكلت مصدراً هاماً لكتاب الدراما في بدايات ظهورها، والتاريخ كان ملاذاً لكتاب الدراما قديماً، وهو اليوم يشكل مخزوناً مهماً لتحويل التاريخ المكتوب إلى دراما، (٣) لذا فإن العلاقة وثيقة بين التاريخ والدراما التي نقلت المعرفة بالأحداث والشخصيات التاريخية من الدوائر العلمية المتخصصة إلى دوائر معرفية عامة وواسعة، لا سيما أنها تمتلك أسلوباً خطابياً يختلف عن المنهج العلمي الجدي في عرض التاريخ، حيث بات بمقدور الدراما التاريخية أن تكون عاملاً فعالاً في صناعة الوعي وتحقيق الفهم المجتمعي للكثير من القضايا، بصورة فاقت قدرة الكتب والمدارس التقليدية على إحداث هذا الأثر.

تزخر المكتبات بآلاف الكتب التاريخية التي يدرس الطالب منها منذ مراحلها الابتدائية الكثير، وتمر عليه أسماء شخصيات كثيرة وأحداث وأماكن، إلا أن القدرة على الحفظ تبقى آنية، فضلاً عن القدرة على الفهم، فيما تقوم الدراما بتوفير الأمرين معاً؛ فهي تسهل حفظ الشخصيات والأحداث والأماكن، (٤) نظراً لأن المشاهد يعيش الواقع التمثيلي، ويصبح جزءاً منه، وبذلك يصعب نسيان ما عاشه ورأته عيناه، وبالتالي يتحقق الأمر الآخر في الفهم واستيعاب تلك الأحداث التي عاشها وفهم مجرياتها.

استخدم الإنسان من مختلف الأمم والحضارات الدراما في أفراحه وأحزانه، وفي رخائه وشدته، وسلمه وحره، وامتد هذا الاستخدام منذ فجر الحضارات القديمة وحتى العصر الحديث، وفي ظل مختلف العقائد والديانات، والعصر الحديث فتح للدراما والدراما التاريخية خصوصاً أوسع الأبواب منذ فجر نهضتنا الحديثة قبل قرنين من الزمان، وذلك إدراكاً أنها أكثر فاعلية في التربية والتعليم والتثقيف، وفي تجذير المقاصد والغايات في نفوس المشاهدين، ومن ثمّ في تحقيق التغيير والتطوير. (٥)

الدراما الفلسطينية التاريخية

عرفت السينما الفلسطينية في مطلع القرن الماضي، وكانت تهدف إلى توثيق الواقع الفلسطيني، وبالرغم من التعثرات الكثيرة التي مرت عليها، نظرا لظروف خضوعها للاحتلال البريطاني ومن ثم الإسرائيلي، وما فرضه ذلك من تشديدات على حرية العمل الفني، إلا أن بعض الفترات شهدت تحولات مهمة في الاهتمام بالدراما لا سيما مطلع تسعينات القرن الماضي تزامنا مع إنشاء السلطة الفلسطينية، حيث كانت زاخرة بالإنتاج السينمائي، فقد أخرج عبد السلام شحادة مثلا عام ٢٠٠٠ ثلاثة أفلام، وهي "الظل" و"حجر بحجر" و"القصبة"، وولدت أسماء أخرى انخرطت في السينما الفلسطينية الجديدة، مثل المخرج عمر القطان الذي أخرج فيلمه "أحلام في الفراغ" (١٩٩١)، تلاه فيلم "العودة".

قاد رؤاد السينما الفلسطينية الجديدة أفلام بلدهم إلى العالمية رغم الأسوار التي ضربت من حولها للحيلولة دون حصادها الجوائز الدولية، خاصة في هوليدود، وكان المخرج إيليا سليمان أحد هؤلاء الذين حلقوا بالسينما الفلسطينية، فقد أخرج مجموعة من الأفلام، مثل: "مقدمات لنهايات جدال" (١٩٩٠)، و"تكريم بالقتل" (١٩٩٢)، وفيلمه الروائي الطويل "سجل اختفاء" (١٩٩٦) الذي كان أول فيلم فلسطيني يعرض في الولايات المتحدة الأمريكية، وحصد جائزة "لويجي لاورنتيس" في مهرجان البندقية، ثم أخرج فيلم "يد إلهية" (٢٠٠٢)، والذي أوصله إلى منصات التتويج في أعرق المهرجانات السينمائية، وحصد جائزة لجنة التحكيم الخاصة في مهرجان كان الدولي سنة ٢٠٠٢،^(١) رغم أن لجنة قبول الترشيحات لجائزة الأوسكار رفضت قبول ترشيح الفيلم للجائزة عام ٢٠٠٣، وهو أمر متوقع خاصة مع تحكم اللوبي اليهودي في مفاصل صناعة الأفلام في الولايات المتحدة الأمريكية.

منذ إنشاء السلطة الفلسطينية مطلع تسعينيات القرن الماضي بدأ ظهور القنوات التلفزيونية والإذاعية، فظهر تلفزيون فلسطين والعديد من التلفزيونات المحلية في مختلف المحافظات الفلسطينية، وقد أدى إنشاء هذه المحطات التلفزيونية إلى زيادة الإنتاج المرئي عموما، ومنه التوجه بصورة تدريجية نحو الإنتاج الدرامي، لكن التطور الأهم جاء مع اندلاع انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، حيث بدأت فضائيات فلسطينية بالظهور في الفضاء الإعلامي، بثه عبر الأقمار الصناعية، ليتلقى بثها الفلسطينيون أينما تواجدوا، فضلا عن الشعوب الأخرى، وهنا أخذ الإنتاج الدرامي بالازدياد لا سيما ما تبنته فضائيات: فلسطين والأقصى والقدس وتلفزيون معا وفلسطين اليوم.

يشكل التاريخ الفلسطيني مادة مهمة لاستيحاء أفكار موضوعات تصلح لأن تكون أعمالاً درامية يعاد محاكاتها وتمثيلها، لذا فقد اهتمت شركات الإنتاج والفضائيات الفلسطينية بالدراما التاريخية وأولتها مكانة وسط برامجها ومادتها؛ وباتت كما الدراما التاريخية عموما تستهوي هذه المسلسلات التاريخية الجماهير وتجذبهم إليها، لذا فإن الدراما تشكل

التغريب الفلسطينية

فرصة لمن لم يقرأ التاريخ أو لا يملك الوقت الكافي لقراءة تراث أمته الضخم بعصوره وأعلامه، ورجاله ودوله، وأحداثه ونوازلها.

بزر اهتمام العديد من المسلسلات بالتاريخ الفلسطيني سواء المتعلق بالنكبة أو النكسة الفلسطينية أو تاريخ شخصيات فلسطينية، فأنتج الفلسطينيون الكثير من الأفلام الدرامية، والعديد من المسلسلات الدرامية التي تنوعت في مضامينها بين السياسية والاجتماعية والكوميديا والتاريخية، ومن أبرز هذه المسلسلات التي عنيت بالتاريخ الفلسطيني وارتكزت بالأساس على التاريخ الشفوي في روايتها ما يوضحه الجدول رقم (١).

جدول (١) المسلسلات التاريخية الفلسطينية

المسلسل الدرامي	سنة الإنتاج	وصف المسلسل
أم الياسمين	٢٠٢٣	يوثق المسلسل حقبة زمنية شكلت البداية لنضال الشعب الفلسطيني في سبيل الحفاظ على أرضه، في مواجهة الانتداب البريطاني، الذي كان يؤسس ويمهد لقيام دولة الاحتلال الإسرائيلي، وتنتقل الأحداث من ثورة البراق في القدس، وتدور في مدينة نابلس بين عامي ١٩٢٩ و ١٩٣٥، حيث يستعرض البيئة النابلسية الاجتماعية والثقافية وعادات المدينة وتقاليدها وأكلاتها ولكنتها، وماضيها المقاوم ^(٧) .
حضور لموكب الغياب	٢٠٢٢	تدور أحداث المسلسل حول النضال الوطني لفلسطين والأردن ضد إسرائيل ما قبل وبعد عام ١٩٦٥، وجهاد أهل فلسطين في سبيل إنقاذ بلادهم من الإحتلال الصهيوني العاشم. كما يتناول تأثير النكبة على حياة الناس والمجتمع، ومعاناة اللاجئين في لبنان
قبضة الأحرار	٢٠٢٢	مسلسل درامي يحاكي عمليات تصدي المقاومة وإفشالها لعملية تسلل وحدة (سيبرت متكال) الخاصة لقطاع غزة عام ٢٠١٨، والمواجهة العسكرية في شهر مايو.
شارة نصر جلبوع	٢٠٢٢	يحكي المسلسل عن محاولة هروب ستة أسرى فلسطينيين من سجن جلبوع الإسرائيلي عام ٢٠٢١، كي يناولوا حريتهم، حيث يسلط الضوء على معاناة الأسرى وما يتعرضون له من الإهمال الطبي والابتزاز والتفتيش اليومي والحرمان من النوم.
باب العامود	٢٠١٣- ٢٠٢٢	مسلسل باب العامود هو مسلسل من عدة أجزاء يهتم بمدينة القدس العتيقة، ويصور الحياة الاجتماعية الفلسطينية في البلدة القديمة في القدس في ظل الاحتلال، وهذا العمل الدرامي الأول من نوعه والذي يصور في أزقة وحواري وبيوت القدس العتيقة، يقدم المسلسل الوجوه الفلسطينية المقدسية بإطار اجتماعي ساخر وهادف يظهر معالم البلدة القديمة، ويركز على الحياة من داخل البيوت، راصدا المعاناة المقدسية والعلاقة المقدسية بين الجيران والباعة والأسواق فضلا عن حضور اللهجة المحكية في مدينة القدس. ^(٨)

التغريبة الفلسطينية

مسلسل درامي يتكون من ٣٠ حلقة، أحداثه مستوحاة من قصة حقيقة من نضال الشعب الفلسطيني في وجه الاحتلال وقعت بين عامي ١٩٨٥-١٩٩٦، ويعرض صوراً من المقاومة الفلسطينية وعملياتها وقصص التحرر من الأسر، فضلاً عن انتهاكات الاحتلال بحق الفلسطينيين.	٢٠٢١	ميلاد الفجر
يوثق المسلسل أحداث اجتماعية وسياسية في البلدة القديمة في مدينة الخليل، ويركز على أهمية الحفاظ على البلدة القديمة وبيوتها في وجه أطماع الاحتلال ومستوطنيه فيها، فضلاً عن تركيزه على جمالية المكان التراثية والتاريخية والدينية.	٢٠٢٠	على الله تعود
مسلسل درامي يتكون من ١٢ حلقة، تدور أحداثه حول محامية تحاول أن تثبت براءة شقيقها المعتقل في سجون الاحتلال الإسرائيلي ظلماً، دون أن تكون له علاقة بالحادثة المتهم بها، وخلال رحلتها للعثور على براءة شقيقه يُستشهد أبناها لتدرك المرأة بأن إسرائيل لا تفهم لغة القانون مطلقاً، وبعد عدة حلقات من المسلسل تستشهد المحامية في عملية ثأر لأخيها، ويعتقد ابنها بسام أن والده هو المسؤول عن قتل أمه وشقيقه. لكن بعد ١٠ سنوات يدرك الحقيقة ويحاول الانتقام لتنفيذ عملية داخل الأراضي المحتلة، ويفاجأ أن والده هو قائد المقاومة، ليستمر الصراع بين الجيل الفلسطيني الصاعد والاحتلال الإسرائيلي.	٢٠٢٠	عشر سنين
يحاكي المسلسل قصة ديانا الأيوبي التي كانت حاملاً في شهرها التاسع عندما اضطرت مع آخرين إلى الاحتماء بعيادة طبية، هرباً من حمم النيران الإسرائيلية خلال الحرب على قطاع غزة عام ٢٠١٤. ففي أحد أيام الحرب -التي استمرت ٥١ يوماً- اجتاحت قوات الاحتلال بلدة خزاعة (جنوب القطاعي)، وارتكبت مجازر دموية مروعة، وبينما تمكن بعض السكان من الهرب ومغادرة البلدة، اضطروا آخرون إلى اللجوء لعيادة الطبيب كمال قديح، وحوصروا داخلها ستة أيام، عاشوا خلالها ظروفًا صعبة وقاسية للغاية. ومن هذه الأحداث والظروف، جاءت فكرة المسلسل.	٢٠٢٠	عنقود
مسلسل سوري من ثلاثين حلقة يحكي سيرة المطران هيلاريون كابوتشي من إنتاج المؤسسة العامة للإنتاج التلفزيوني والإذاعي، وإخراج الفلسطيني باسل الخطيب، ويندرج المسلسل ضمن إطار السيرة الذاتية، ويعتبر أول عمل درامي يتناول شخصية رجل دين مسيحي عربي، هو المطران هيلاريون كبوجي (تولد حلب ١٩٢٢-٢٠١٧)، والذي أصبح مطراناً لكنيسة الروم الكاثوليك في القدس عام ١٩٦٥، وجيّر مكانته الدينية لصالح خدمة القضية الفلسطينية، وخلال الحرب على سوريا قام المطران بدور فعال بنقل وجهة النظر الرسمية عما يجري، وقدم الكثير من الدعم والمساعدات للجرحى والمتضررين.	٢٠٢٠	حارس القدس
مسلسل درامي يتكون من ٣٠ حلقة، أنتج في الضفة الغربية عام ٢٠١٩، وتدور أحداثه في قرية الزهرة المهجرة عام ١٩٤٨، ويسلط الضوء على الحياة الاجتماعية والنضالية لسكان القرية تحت حكم الانتداب البريطاني حتى احتلال كامل فلسطين، ويصور كيف تعامل أهل القرية مع الاحتلال واعتداءاته.	٢٠١٩	أولاد المختار

التغريبة الفلسطينية

مسلسل يتناول المقاومة في مدينة الخليل وتدور أحداثه حول شخصية قناص الخليل، ويستعرض الأبعاد المختلفة لحياة الفلسطيني في الخليل من اعتقال وحواجز وأسواق الخليل والمسجد الإبراهيمي وغيرها.	٢٠١٩	دروب المجد
مسلسل يصور معاناة مدينة القدس، ويجسد حياة المقدسيين وما يتعرضون له من انتهاكات يومية من الاحتلال الإسرائيلي، يتناول الأجواء الحياتية في إحدى حارات مدينة القدس المجاورة للمسجد الأقصى من جهة باب السلسلة، وتركز حلقاته على جهود المقدسين في الدفاع عن حارتهم ومنع تهويدها أو وقوعها تحت سيطرة المستوطنين اليهود، حيث يظهر الصراع الشديد بين المواطنين المقدسيين المتماسكين بأرضهم وبيوتهم ومحلاتهم التجارية وبين المستوطنين الذين يريدون تهويد حي السلسلة، وما يصاحبه من مشاهد تبين حجم الصمود الأسطوري للمقدسين وإصرارهم على التمسك بأرضهم ومنازلهم.	٢٠١٧	بوابة السماء
مسلسل درامي يتكون من ٣٠ حلقة، ويعالج قضايا وطنية مختلفة كالأسرى في السجون الإسرائيلية، والتهويد الذي تتعرض له الضفة الغربية. تدور أحداث المسلسل حول معاناة سكان حارة فلسطينية في مدينة الخليل جنوب الضفة الغربية، من مضايقات المستوطنين الإسرائيليين، وتحت حماية جيش الاحتلال.	٢٠١٦- ٢٠١٧	الفدائي
مسلسل من إنتاج فضائية الأقصى، يتناول المقاومة المسلحة في الضفة المحتلة وقطاع غزة، كما يقدم عدداً من عمليات المقاومة الفلسطينية التي مرت بمراحل متعددة، كما أنه تعرض للوعي الأمني والإحتياطات الأمنية التي يتخذها المقاومون أثناء عملهم.	٢٠١٤	الروح
يروى قصة قرية فلسطينية تعاني ويلات الاستيطان، وكيفية وقوف أهالي القرية في وجه الاحتلال، والمسلسل يحاكي أحداث حدثت في تسعينيات القرن الماضي.	٢٠١٤	الأغراب
مسلسل دراما تاريخي يُعدُّ واحداً من أشهر ما أنتجته الدراما في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية أنتجته شركة سوريا الدولية للإنتاج الفني، وجرى تصويره بالكامل في سوريا عام ٢٠٠٤م، كتبه وليد سيف، وأخرجه حاتم علي، وكلاهما عاش أيام الاحتلال والحرب واللجوء. يروي المسلسل قصة أسرة فلسطينية فقيرة تكافح من أجل البقاء في ظل الانتداب البريطاني ثم خلال الثورة الفلسطينية الكبرى، وفي خيم اللجوء بعد النكبة، حيث تُلخص الأحداث التي مرت بها هذه الأسرة حقبة تاريخية هامة في حياة الفلسطينيين امتدت ما بين ثلاثينيات وستينيات القرن العشرين مروراً بالعديد من الأحداث الهامة، حتى نكسة يونيو عام ١٩٦٧م، وكيفية صمود أفراد الأسرة على الرغم مما واجهوه من أخطار الحرب.	٢٠٠٤	التغريبة الفلسطينية

قليلة هي الدراسات التي تناولت الدراما والمسلسلات الفلسطينية، لا سيما تلك الدراسات بحث المسلسلات الفلسطينية التي وثقت للتاريخ الفلسطيني، ومن هذه الدراسات دراسة بعنوان^(٩) القضية الفلسطينية من خلال الدراما السورية:

التغريب الفلسطينية

دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من حلقات المسلسل التلفزيوني السوري التغريب الفلسطينية ٢٠٠٤، حيث ركزت الدراسة على الكيفية التي عالجت فيها الدراما السورية القضية الفلسطينية، إضافة إلى دراسة (١٠) تناولت موضوع التعبئة الوطنية من خلال الفنون بعد أوسلو: دراسة تحليلية للمسلسلات الدرامية الفلسطينية. وما يميز هذه الدراسة أنها تناولت موضوع الدراما الفلسطينية التي وثقت التاريخ الفلسطيني انطلاقاً من دورها في نقل التاريخ الشفوي إلى أروقة الخطاب المرئي، وعرضه بالصوت والصورة للجمهور المعاصر.

التاريخ الشفوي الفلسطيني

يعرف التاريخ الشفوي بأنه منهج بحث مهمته دراسة الماضي من خلال الكلمة المحكية المحفوظة في الذاكرة الإنسانية، والمنقولة مشافهةً من خلال روايات الأفراد وذكرياتهم عن أحداث حياتهم، وخبراتهم ومشاهداتهم، خاصةً تلك التي شاركوا فيها شخصياً، أو كانوا مجرد شهود عيان عليها. (١١) وهو عبارة عن روايات تاريخية متنوعة رواها أناس يعرفون الحدث التاريخي ويلمّون به، أو ببعض منه، وقد يكون هؤلاء الناس مهمين في مجتمعهم، أو عاديين، ولكنهم يكتزون في صدورهم روايات الماضي، ولهم دراية كبيرة بأحداث مجتمعاتهم. (١٢)

يعنى التاريخ الشفوي بدراسة التاريخ والأحداث التي يتم تناقلها من جيل إلى آخر من خلال الحكايات والقصص الشفوية، وتتنوع الموروثات التي يتم تناقلها من خلال هذا الأسلوب بين قصص وحكايات الشخصيات والعادات والتقاليد والأحداث المهمة والعادية، فضلاً عن تضمينها لقيم ومعتقدات وثقافة المجتمع الذي يتم نقل أحداثه.

يرتكز التاريخ الشفوي على نقل الشهادات والروايات من قبل الأفراد الذين عاشوا وشاهدوا الأحداث، لذا فهم أناس عاديون لكن اعتباريتهم في امتلاكهم المعلومة التي تشكل أساس التاريخ الشفوي، غير أن هذه الروايات قد تختلف من شخص لآخر وقد يدخل الرأي البشري والذاكرة البشرية كعوامل مؤثرة على طبيعة النقل ودقته، وما قد يتضمن من توجيه لرأي الراوي في تلك الأحداث أو الأشخاص، ما يجعل من التاريخ الشفوي رهينة لأراء الراوي الذي يمثل حارساً للبوابة المعلوماتية (١٣).

تبرز أهمية التاريخ الشفوي كمصدر معلوماتي مهم في المجتمعات التي لم يحظ تاريخها بالتوثيق الكتابي، كما هو الحال مع المجتمع الفلسطيني الذي اعتمدت الروايات على ما وثقه الاحتلال البريطاني والإسرائيلي، ما جعل من التاريخ الشفوي مصدراً فلسطينياً مهماً لمعرفة وفهم الماضي بأحداثه وعاداته وتقاليدته وتراثه.

التاريخ الشفوي الفلسطيني هو مصدر مهم لفهم تاريخ فلسطين وثقافتها وتقاليدها وماضيها وشخصياتها، وهذا التاريخ يحوي الكثير من الحكايات والروايات التي يتم نقلها من جيل إلى آخر من خلال الحديث الشفوي من الكبار الذين عاصروا الأحداث إلى الأجيال اللاحقة. وقد تتناول الحكايات والروايات التي يتم نقلها في التاريخ الشفوي الفلسطيني

التغريبة الفلسطينية

أحداثاً مهمة، مثل النكبة عام ١٩٤٨ وغيرها من الأحداث الكثيرة التي عاشتها فلسطين منذ مطلع القرن الماضي حتى اليوم، كما أن روايات التاريخ الشفوي تحمل الكثير عن بطولات شخصيات اعتبارية كان لها أثر في القضية الفلسطينية.

يعطي التاريخ الشفوي الفلسطيني للقارئ صورة أكثر وضوحاً عن كل ما سبق من عادات وثقافة وأحداث وشخصيات فلسطينية فضلاً عن صور عن الحياة اليومية في القرى والمدن الفلسطينية، وعن العلاقات الاجتماعية والعائلية والدينية وغيرها في المجتمع الفلسطيني. لذا، يعد التاريخ الشفوي الفلسطيني مصدراً هاماً لفهم تاريخ فلسطين وثقافتها وعاداتها وتقاليدها، حيث يقدم نظرة شاملة عن الحياة في المجتمع الفلسطيني.

مسلسل التغريبة الفلسطينية

مسلسل درامي تاريخي، ويُعدُّ أحد أشهر ما أنتجته الدراما في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية، وهو ملحمة درامية تروي قصة الجرح الفلسطيني والقضية الفلسطينية، ومن نجومه: جوليت عواد، وجمال سليمان، وباسل خياط، وخالد تاجا. (١٤) وقد أنتجت المسلسل شركة سوريا الدولية للإنتاج الفني، وجرى تصويره بالكامل في سوريا عام ٢٠٠٤، وقد كتبه الكاتب الفلسطيني وليد سيف، وأخرجه حاتم علي، وكلاهما عاشا أيام الاحتلال والحرب واللجوء.

يروى المسلسل قصة أسرة فلسطينية فقيرة تُكافح من أجل البقاء في ظل الانتداب البريطاني، ثم خلال الثورة الفلسطينية الكبرى، وفي خيم اللجوء بعد النكبة، حيث تُلخص الأحداث التي مرت بها هذه الأسرة حقبةً تاريخية هامة في حياة الفلسطينيين، امتدت بين ثلاثينيات وستينيات القرن العشرين، مروراً بالعديد من الأحداث الهامة، حتى نكسة يونيو عام ١٩٦٧، وكيفية صمود أفراد الأسرة على الرغم مما واجهوه من أخطار الحرب.

تركز قصة المسلسل على شخصيتي أبو صالح الابن الأكبر للعائلة، وقائد فصيل في الثورة، بالإضافة إلى علي الذي يروي القصة وهو ابن العائلة المتعلم الذي كافح للوصول إلى درجة الدكتوراه.

تناولت أحداث المسلسل أحداث الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ والهجرة اليهودية، فضلاً عن أحداث النكبة عام ١٩٤٨ وأحداث الاحتلال الإسرائيلي، والعيش في مخيمات اللجوء، ثم أحداث نكسة حرب حزيران ١٩٦٧.

٣. منهجية الدراسة

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة ورصد وتحليل التوثيق الدرامي للأماكن والعادات والشخصيات والتراث واللباس والمعلومات والأحداث التي تتضمنها حلقات المسلسل الدرامي، واعتمدت في التحليل على دراسة المحتوى وما تتضمنه المشاهد الدرامية، حيث يستخدم أسلوب تحليل المحتوى للحصول على استنتاجات

التغريب الفلسطينية

تبين الاتجاهات عن طريق تشخيص خصائص معينة بطريقة موضوعية ومنهجية كمية،^(١٥) وهو أسلوب لعمل الاستدلالات عن طريق تحديد الخصائص المحددة للرسائل بشكل موضوعي ومنهجي، ويتيح فحص كميات كبيرة من البيانات بسهولة نسبية وبطريقة منهجية^(١٦). وهو أيضاً أحد أساليب الإفادة من المعلومات المتاحة عن طريق تحويلها إلى مادة قابلة للتخيل والمقارنة، باستخدام التطبيق الموضوعي والمنهجي المنتظم لقواعد التصنيف.^(١٧)

مجتمع وعينة الدراسة

أنتجت العيديد من المسلسلات الدرامية التي توثق التاريخ الشفوي الفلسطيني كما يبين الجدول رقم (١)، ومن هذه المسلسلات تم اختيار مسلسل التغريب الفلسطينية كعينة لدراسة يتم تحليله والكشف على معالجة الدراما للروايات التاريخية وحفظها من خلال العمل الدرامي، حيث يُعد المسلسل من أبرز المسلسلات الدرامية التي اعتمدت على الروايات الشفوية لأحداث وقصص فلسطينية حدثت فترة النكبة، وعالج تلك المرحلة من التاريخ الفلسطيني بدءاً من فترة الانتداب البريطاني ومروراً بأحداث النكبة وما بعدها، لذلك تم اختياره ليكون عينة الدراسة القصصية، وبما أن المسلسل كل كامل لا يتجزأ فقد كانت حلقاته الثلاثون ومشاهدها جميعها محل التحليل.

وحدات التحليل

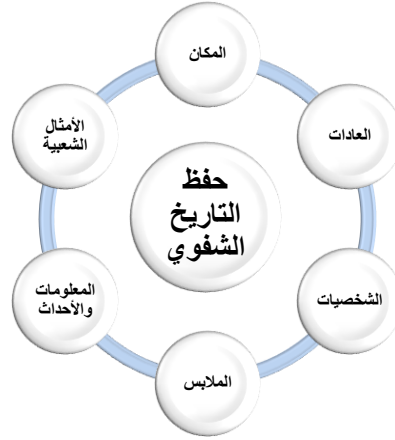
يستخدم أسلوب تحليل المضمون لتحليل محتوى أو معنى الرسائل الاتصالية بصورة منظمة تساهم في وصف الظواهر الاتصالية^(١٨)، ومن ذلك المواد الدرامية التي تندرج تحت المواد الاتصالية.

استخدمت الدراسة ست وحدات من وحدات تحليل المحتوى هي: المكان والعادات، والشخصيات، والتراث والملابس، والمعلومات والأحداث.

كما أن هذه الدراسة سيميائية اهتمت بالعلامات والرموز الأساسية في المسلسل لفهم المعاني التي تنقلها، ثم يحدد كيف تتناسب هذه العلامات والرموز مع الأنماط والمواضيع داخل المسلسل، وكيف تساهم في المعنى العام للفيلم ورسالته^(١٩).

التغريب الفلسطينية

الشكل (1) عناصر المعالجة الدرامية في حفظ التاريخ



٤. المعالجة الدرامية للتاريخ الشفوي الفلسطيني في المسلسل

حللت الدراسة مسلسل التغريب الفلسطينية وما تضمنه من عناصر درامية ذات أهمية في حفظ التاريخ

الشفوي المعالج دراميا، ومن أبرز هذه العناصر:

الأماكن والمعالم

تضمن المسلسل عرضا للأماكن والمعالم الفلسطينية المختلفة، والتي تعبر عن البيئة الفلسطينية بداية القرن الماضي،

ومن أبرز هذه الأماكن والمعالم التي تضمنها ما يوضحه الشكل الآتي:

الشكل رقم (٢) الأماكن والمعالم في المسلسل



التغريبة الفلسطينية

القرية: جرت أحداث المسلسل في الحلقات الأولى على أراضي قرية فلسطينية قضاء حيفا، ظهر في هذه القرية الأراضي الزراعية والحقول لاسيما أشجار الزيتون، كما أن بيوت القرية عبارة عن بيوت حجرية ويتبعها حوش وبئر للماء. لم يعن المسلسل باسم قرية بعينها، بل اهتم بتفاصيل القرية الفلسطينية عموماً وأبرزها في المسلسل، حيث قصد الدلالة الرمزية دون التصريح، ما أعطى الكاتب والمخرج مساحة أكبر في تجميع التراث الفلسطيني وما تناقلته الروايات الشفوية ليكون له مكان في القرية الفلسطينية الرمزية.

المسجد: مسجد القرية الصغير الذي بني على أعمدة خشبية ويدرس فيه الصبيان ويجتمع فيه أهالي القرية، وهو رمز للتجميع والعلم والتدين.

الكتاب: المكان الذي يدرس فيه الأطفال على يد الشيخ، وهو رمز للاهتمام بالعلم وتلقيه ولو بصورته البسيطة.

البيوت: أظهر المسلسل تمايزاً واضحاً بين البيوت؛ حيث عرض بيوت الفلاحين البسطاء في القرية، والمبنية من الحجارة المرصوفة، فيما تميزت عنها بيوت الأغنياء كالمختار وأعيان القرية، وعرض أيضاً بيوت المدينة التي بنيت من الإسمنت والمفروشة بفرش جيد، فضلاً عن بيوت المخيم الذي لجأ إليه الناس بعد النكبة.

المدرسة: في مرحلة متقدمة يبدأ ظهور المدارس وانتقال الطلاب من الكتاب إليها، حيث كانت تتواجد في المدن الكبرى مثل عكا وحيفا، ومن ثم بدأت تنشأ مدارس لاحقاً في القرى والمخيمات بعد النكبة.

المدينة: عرض المسلسل مشاهد لمدينة حيفا وبيوتها المبنية من الإسمنت والمفروشة بفرش جيد، وأسواقها وما فيها من فواكه وخضار يبيع فيها الفلاحون بضائعهم فضلاً عن مقاهيها، وقد أشار إلى الأهمية السياسية للمدينة التي تحتضن المثقفين والحراك الثقافي والتنظيمي ضد الاستعمار، كما عرض مشاهد لمدينة عكا ومدرستها التي كان يرتادها الطلاب بعد انقضاء الدراسة في الكتاب.

النادي: عرض المسلسل مشاهد لنادي شباب حيفا والاجتماعات التي كانت تعقد فيه في الثلاثينيات، في دلالة لدور هذه المؤسسات في القضية وحشد الشباب وضح الوعي السياسي والوطني فيهم.

المخيم: تحولت مشاهد المسلسل بعد أحداث النكبة واللجوء إلى التركيز على المخيم وتفاصيله المختلفة، من بيوت صغيرة وشوارع ضيقة وممرات ومكاتب وكالة الغوث لتوزيع المؤن والمساعدات، بدأ الفلسطينيون يعيشون تجربة المخيمات الصعبة في الخيام ومن هنا جاءت التسمية، في المخيم تغيير كل المعايير؛ فالفقير والغني معا في نفس المستوى يعانون نفس المعاناة، وقد أبرز المسلسل حياة الفلسطينيين في المخيمات والتحديات والصعوبات التي يحياها السكان، في دلالة لمعاناة اللاجئين الذين ما زالوا يعانون في مخيمات اللجوء في داخل فلسطين وفي الشتات.

التغريب الفلسطينية

المستوطنات: أشار المسلسل إلى ظاهرة الاستيطان والاستيلاء على الأراضي المشاع وتمليكها لليهود عن طريق الإنجليز في رمزية تشير إلى التواطؤ الإنجليزي معهم ومساعدتهم في تثبيت وجودهم على أرض فلسطين.

الحواجز: عرض المسلسل الحواجز الإسرائيلية التي تنصب للتضييق على الناس ومنع دخولهم للمدن والمناطق الفلسطينية التي احتلت ومنع عودة اللاجئين إلى مدنهم وقراهم، في دلالة على القهر الذي يمارسه المحتل.

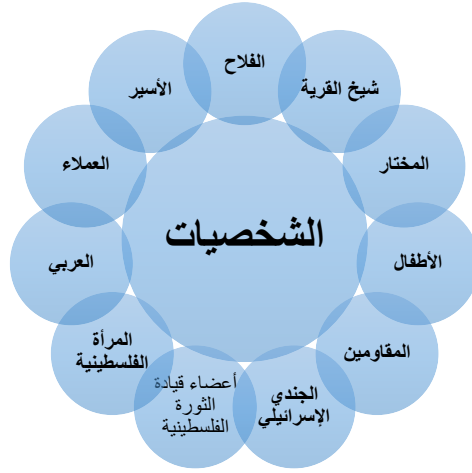
تسهم الأماكن والمعالم الأثرية التي تضمنها المسلسل في ربط المشاهد بموروثه التاريخي وتقريب الصورة الواقعية للروايات الشفوية اعتماداً على المحاكاة للأماكن التي تساهم في حفظ التاريخ وتسهيل فهمه (٢٠)

العادات والتقاليد

عالج المسلسل عادات الناس وتقاليدهم في تلك المرحلة التاريخية؛ سواء في القرية أو المدينة أو المخيم، حيث تظهر العديد من العادات اليومية والمناسبات، ومن أبرزها:

- عادات نساء القرية في الطبخ والخبز على الطابون وجمع الحطب من الحقول.
 - عادة تربية المواشي في البيوت وحلب الشياه من قبل النساء.
 - عادة الزراعة وقطف الزيتون والعمل في الأرض مع الأبناء الذكور الكبار.
 - عادات الألعاب لدى الأطفال في ذلك الوقت لا سيما لعب البنور (غلول) في الشارع.
 - عادات إكرام الضيوف وتجمع الناس على الوليمة.
 - عادات الناس في المناسبات والأعراس والرقص بالسيوف وعلى الفرس وتزيين العروس.
 - عادات القتل على خلفية الشرف.
 - عادات مصاحبة للمواسم مثل: دق الجرن والطاحونة وعصر الزيتون.
 - عادات التدخين لدى الشيوخ والتي تتمثل في تحضير (التتن) الذي تصنع منه السجارة، ومن ثم صناعة السجارة يدوياً.
 - عادات الضرب في المدارس من قبل الشيخ، فضلاً عن عادات دفع مقابل التعليم في الكتاب من الثمار أو المنتجات الزراعية أو بالمال.
 - عادات زواج الشباب المبكر في القرى.
 - تنوع العادات بين أهل المدينة والقرية، ما يظهر الفروقات في الثقافة بين الزوجين المنحدرين من بيئتين مختلفتين، ما يسبب المشكلات بينهما.
- تظهر هذه العادات وغيرها عكس العمل الدرامي للموروث المجتمعي من خلال مشاهد درامية اعتمدت على التاريخ الشفوي، ما يساهم في تعريف المشاهد على عادات فلسطينية قديمة جيدة وغير جيدة، بعضها مازال يحتفظ المجتمع به فيما بعضها الآخر لم تعد موجودة في مجتمعنا المعاصر كله أو بعضه.

الشكل رقم (٣) الشخصيات في المسلسل



ظهرت في المسلسل صور العديد من الشخصيات الافتراضية التي تحاكي شخصيات تاريخية في تلك المرحلة التاريخية، في إحياءات رمزية تعبر عن شخصيات مرحلة الاحتلال البريطاني وما بعدها، ومن أبرزها:

- شخصية الفلاح البسيط وعائلته، وتحديات الحياة التي يواجهها هذا الفلاح في قرية قدم إليها غريبا، في إشارة للعصبية للذات والعائلة وأبناء القرية التي كان يمتاز بها المجتمع الفلسطيني سابقا.
- شيخ القرية ومعلم الأطفال، والذي كان له دور مهم في القرية ومن أعيانها.
- المختار الذي كان يمثل القرية وله الكلمة الفصل فيها، فضلا عن الطبقة الحاكمة المحيطة به وهم الأغنياء، والتي كانت تمارس التجبر بالضعفاء في القرية.
- الأطفال والنساء والرجال في القرية، وهم الامتداد البشري الذي يحتاجه المسلسل للتعبير عن المجتمع وأغلبهم من الكومبارس.
- ركز المسلسل على شخصيات الأطفال، وتناول حياتهم في المدرسة والقرية والجبال، ولعبهم ولهوهم وصراعاتهم مع بعضهم، ومن ثم تناول شخصيات الأطفال في المخيم والمدينة، وتداخل همّ الطفل بالهم الوطني وحمل السلاح والدفاع عن الأرض.
- شخصيات المقاومين: بدأ أول ظهور للفدائي الفلسطيني الفلاح الذي ترك أرضه وماله رغم فقره ليصد اعتداءات قوات الإنجليز على المدن الفلسطينية، ومن هنا بدأت هجمات الفدائيين على التجمعات والمستعمرات اليهودية التي كانت تحرسها قوات الإنجليز وتمنحهم السلاح، ما أدى إلى بروز بعض المناضلين من هؤلاء الفلاحين، ومن أبرزهم شخصية أبو صالح قائد فصيل في مقاومة الإنجليز وهي شخصية رمزية، لعب الفدائي دروا مهما في تلك المرحلة؛ إذ أضحى مسؤول منطقته وحاكمها، حيث كان الحكم ذاتيا من تشكيل محاكم خاصة إلى تنظيم أمور الناس وغيرها، وبالرغم أن مكانة هذا الفدائي القائد

التغريبة الفلسطينية

تراجعت بعد انتهاء الثورة كقائد ميداني، إلا أن العمل المقاوم يدخل الشخصيات العادية إلى مستوى اجتماعي متقدم، ما يحمل دلالة مهمة تتمثل في أن الشخصيات المقاومة الفلسطينية هي شخصيات تحظى بأهمية اجتماعية ولها أدوار لاحقة في المجتمع.

- شخصية الجندي الإسرائيلي: ظهرت شخصية الجندي الإسرائيلي من خلال المجموعات العسكرية الإسرائيلية التي تهاجم القرى وتقتل وتشرّد ساكنيها بشكل بشع، باثة الرعب في باقي القرى الفلسطينية، ومن ثم تطور الأمر بعد إعلان دولة الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨، لبيد الجنود الإسرائيليين بمهاجمة المدن الفلسطينية بالمدفيعات والمدرعات العسكرية بصورة أكثر تنظيماً.

- أعضاء قيادة الثورة الفلسطينية.

- شخصية المرأة الفلسطينية: الأم والزوجة وال بنت، كانت تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل، وتجدها في أعمال البيت والزراعة وغيرها، كما أنها شاركت بشكل غير مباشر في النضال الفلسطيني من خلال دعم الثوار وتثيبتهم وإعانتهم على القتال.

- شخصية العربي: أظهر المسلسل مشاركة بعض قوات الجيش العربي في النضال مع الفلسطينيين ودعم المناضلين بالسلاح بداية الثورة، وصورة الجيوش العربية التي تسعى إلى تحرير فلسطيني، ويتفاعل معها الفلسطينيون، ومن ثم تحولت صورة الجيوش العربية إلى الخذلان.

- شخصيات العملاء: ظهر خلال حلقات المسلسل بعض الشخصيات المتنفذة والقيادية في الثورة التي كانت تلتقي ضباط الإنجليز وتنسق معهم، ويقومون بتبرير ذلك بأن فيه مصلحة للفلسطينيين لتسهيل أمور حياتهم، فيما أظهر المسلسل بعض العملاء المتعاونيين مع الاحتلال البريطاني والإسرائيلي.

- شخصية الأسير: عرض المسلسل مشاهد الاعتقال بسبب التحريض ضد الإنجليز، فضلا عن تنفيذ أحكام الإعدام بحق بعض الثوار، ومن ثم تناول اعتقال الاحتلال الإسرائيلي للفلسطينيين.

- شخصيات أخرى مثل: العامل والشاعر والمنقّف والنائر والإقطاعي وحتى الخائن لوطنه.

تحمل الشخصيات دلالات رمزية لنماذج تاريخية وواقعية نقلها التاريخ الشفوي الفلسطيني، حيث يسهم المسلسل في إعادة إنتاج تلك النماذج للجمهور المعاصر تحقيقاً للفهم والمحاكاة لذلك الواقع التاريخي. ما يميز المسلسل هو تقديم الشخصيات الرمزية وليست الحقيقية، والمستوحاة من التاريخ الشفوي، وهذا يمنحه حرية في تركيز الأحداث في الشخصيات واختصارها فيهم، فضلا عن تجنب الحساسية الفصائلية والانتماءات ما يجعل من العمل مقبولاً لدى كافة الشرائح الفلسطينية.

الملابس

يظهر المسلسل اهتماما بالملابس التي كان يرتديها الفلسطينيون في تلك الفترة التاريخية، حيث كان لباس الفلسطيني عبارة عن ثوب بسيط مع سروال وطاقية، وكانت ملابس الأطفال وبعض الفلاحين متسخة نظرا لشح الملابس ولتعدد الاستخدام لا سيما في العمل واللعب.

ظهرت الحطة البيضاء والعقال في المسلسل فضلا عن الكوفية في بعض الأحيان، كما ظهر لباس الشيخ للعمامة. تظهر الملابس طبقات الناس بين أغنياء ملابسهم مرتبة ونظيفة ولبس بعضهم جلابية، وآخرين فقراء تظهر ملابسهم قديمة وبالية ومتسخة في بعض الأحيان. هذا التمايز طال ملابس أطفال القرية المتسخة والبسيطة وملابس أطفال المدينة المتمثلة بالبدلة الرسمية التي ظهرت في المدرسة في عكا، فضلا عن ملابس أهل المدينة والمتقنين الذين كانوا يلبسون البدلة.

أظهر المسلسل لباس المرأة الفلسطينية حيث كان الثوب غير المطرز هو الدارج في المسلسل، وقد يكون ذلك للمعالجة العامة دون التخصيص نظرا لأن كل منطقة فلسطينية لديها ما يميزها في تطريز الثوب، لذا فثوب النساء في المسلسل لا يعبر عن المناطق الفلسطينية التي تلبس فيها النساء ثوبا خاصا بنقش ولون يميز كل منطقة فلسطينية عن غيرها، كما ظهرت المرأة وهي تلبس الحزام أو ما يسمى "بالشملة الذي يوضع حول الخصر.

تطور اللباس لاحقا مع مرور الزمن والانتقال التاريخي من مرحلة النكبة إلى النكسة، فظهر استخدام البنطال والقميص لا سيما بعد النكبة، فضلا عن لباس أهل المدينة الرسمي البدلة.

المعلومات والأحداث

عالج المسلسل أحداثا مهمة في تاريخ القضية الفلسطينية منذ الانتداب البريطاني وصولا إلى ما بعد الاحتلال الإسرائيلي، حيث تناول صور حياة الفلاح والتحديات التي تواجهه وأعطى المشاهد صورة عن مشهده حياته في ثلاثينيات القرن الماضي وسيطرة أصحاب الأراضي قبل الاحتلال.

ومن أبرز الأحداث التاريخية التي تناولها المسلسل:

- تناول أحداث الصراع مع الاحتلال البريطاني وفرض الضرائب الكبيرة كانت أيضا مشكلة كبيرة للفلاحين الفلسطينيين والمعارك التي خاضها الثوار وأبرزها ثورة الثلاثينيات.
- الهجرات اليهودية إلى فلسطيني وتواطؤ بريطانيا معهم وتسهيل هجرتهم. والحراك الشعبي للمتقنين الفلسطينيين للوقوف ضد هجرة اليهود لفلسطين والتي كان معظم هذا الحراك يكون عن طريق محاضرات ومعظمها يكون في المدن الرئيسية.

التغريبة الفلسطينية

- مصادرة الإنجليز لأراضي المشاع لصالح اليهود وكيف كانت سببا في ثورة الفلاحين عليهم.
 - أحداث مقتل ٣ فلسطينيين في عكا وبدء المظاهرات ضد الإنجليز واليهود، ومن ثم بدء أعمال المقاومة المسلحة في المسلسل وتطورها تباعا.
 - المقاومة المسلحة للاحتلال البريطاني وتشكيل فصائل مقاومة بدأ النضال من خلال المقاومة الفردية للفلاح الفلسطيني ثم بالاحتجاجات الشعبية ومنها للنضال المنظم من خلال قيادة الثورة الفلسطينية واليت لها قيادات في مناطق فلسطينية مختلفة وكل منطقة فيها عدد من الثوار الفلسطينيين. مع مرور الوقت وتطور الأحداث في فلسطين تطورت اشكال النضال وأصبح الثورة تعمل بشكل شبيه بالجيش النظامية ولها تواصل مع بعض القوات والجيش العربية وشكلت محاكم خاصة لتنظيم أمور الناس. مع تطور الثورة والعمل النضالي ضد الانجليز أصبح للثورة عدة فصائل وفيها من هو مسلح وملتق واستخدم الثورة فقط كغطاء لأعماله الأخرى الخاصة ولكن استطاعت الثورة بقترة وجيزة التخلص منهم وتنظيف الصفوف الداخلية للثورة. مع اعلان دولة الانجليز وبدء السيطرة على المدن والمناطق الفلسطينية يزداد القتال مع الفدائيين الفلسطينيين، ولكن تشتت قوتهم بسبب مقتل الكثير من القادة ونقض الدعم العربي.
 - أحداث النكبة عام ١٩٤٨ واحتلال القرى وتشتت الناس.
 - العيش في المخيمات.
 - الفترة الزمنية التي يعرض فيها المسلسل كانت فترة الانتداب البريطاني وفترة احتلال أراضي ١٩٤٨ وافي الحلقة الأخيرة بشكل سريع يتم التطرق لنكسة ١٩٦٧.
- يلاحظ أن المسلسل قائم على إحياء الذاكرة الفلسطينية التاريخية، حيث استحضر ذاكرة النكبة الفلسطينية لتبقى حاضرة في أذهان الفلسطينيين وتذكر الماضي وكرامتهم وأراضيهم وبيوتهم التي هجروا منها وأصبحوا لاجئين لا يملكون شيء.

دلالات عناصر المعالجة الدرامية

عالج مسلسل التغريبة الفلسطينية عناصر درامية ذات أهمية في حفظ التاريخ الشفوي؛ حيث برز الاهتمام بالمكان والمعالم المعبرة عن البيئة الفلسطينية، فظهرت القرية والمدينة والبيوت القديمة والكتاب والمسجد والمدرسة والنادي والمخيم والمستوطنات وغيرها، ما يعطي المسلسل واقية في المحاكاة، وقدرة على الدلالة بصورة أكثر دقة، ما يسهم في حفظ التاريخ والمعالم الفلسطينية القديمة لدى المشاهدين.

اهتم المسلسل بنقل عادات الناس المختلفة في المدن والقرى الفلسطينية، بدءا من العادات اليومية للفلاح الفلسطيني والمرأة والطفل، مروراً بعادات فلسطينية في المناسبات المختلفة، فضلا عن عادات اجتماعية سواء كانت إيجابية أو

سلبية، وقد ساهم المسلسل في نقل هذه العادات في تعميق فهم الواقع الفلسطيني القديم، وحفظ هذه العادات لدى الأجيال الشابة التي تعيش الحدث المحاكى بتفصيلاته الثقافية في المسلسل المشاهد.

عالج المسلسل الشخصيات بصورة مناسبة، حيث تضمن شخصيات الفلاح وشيخ القرية والمختار وأعيان القرية والأطفال والنساء وشخصيات المقاومين فضلا عن شخصية الجندي البريطاني والإسرائيلي وشخصيات العملاء للاحتلال، وقد تميزت المعالجة بأنها تحمل دلالة رمزية لم تخض في التصريح الواقعي بصورة مباشرة، بقدر ما عبرت عن الشخصيات الحقيقية بأسماء رمزية، فتراه يركز بشكل أساس على حياة الفلاح الفلسطيني قبل وخلال الثورة وفترة اللجوء، وركز على المقاوم الفلسطيني كشخص عادي يعمل بفلاحة الأرض، ولكنه كان رافض للظلم بكل أشكاله وخصوصا ظلم الاقطاعيين، وعندما بدأت الثورة كان من أوائل الذين التحقوا بها وانضموا لها رغم حالة الفقر الشديد التي يعيشها، ثم تحول هذا الفلسطيني من تائر له سلطة وقوة إلى لاجئ يبحث عن قوت يومه.

اهتم المسلسل بالملابس التي يرتديها الفلسطينيون قديما وتطورها مع مرور الزمن، حيث ظهرت ملابس خاصة بكل فئة في المجتمع من المرأة الريفية والمدنية والطفل والفلاح والمتقنين وأبناء المدينة، وطلاب المدارس ثم الملابس التي يرتديها الشباب بعد مرور سنوات أي في مرحلة النكسة. تحمل الملابس المستخدمة في المسلسل دلالات ومعان رمزية للتراث الفلسطيني بعموميته، وتضع المشاهد أمام صورة الملابس التي كان يرتديها الناس في تلك المراحل التاريخية، ما يجعل الصورة واضحة لديه في دلالة كل لباس سواء الدلالة المادية والجغرافية، أو الدلالة الزمانية، فضلا عن أن الملابس تقدم تراثنا الفلسطيني وتحفظه في ذاكرة الأجيال من خلال تصويره في المسلسل الدرامي.

أظهر المسلسل أحداثا تاريخية مهمة ووثق لها في مشاهدته الدرامية، ما يساهم في حفظ الذاكرة الوطنية الشفوية بصورة مرئية، فقد قدم المسلسل حياة الفلسطيني خلال فترة الانتداب وأحداث فترة احتلال فلسطين وإعلان دولة الاحتلال، كاشفا عن تحيز الانتداب البريطاني للعصابات اليهودية ومساندتها بالسلاح والعتاد ضد الفلسطينيين، كما أنه يقدم صورا للثورة الفلسطينية في مقاومة الانتداب والعصابات الصهيونية، بالرغم من نقص السلاح وتخاذه الحكام العرب عن نصرتهم، كما شكلت الأحداث التي قدمها داعمة للذاكرة الثورية في استحضار الأمجاد والعزة والقوة في مواجهة الإنجليز والدفاع عن الحقوق، ما يساهم في حفظ هذه الصور من التضحية لدى الأجيال القادمة.

٥. الاستنتاجات

خلصت الدراسة إلى أن الدراما تسهم في حفظ التاريخ الشفوي الفلسطيني من خلال محاكاة الواقع بالاعتماد على الروايات الشفوية ونقلها بصورة للأجيال الشابة واللاحقة بغية التعرف وفهم تلك المراحل التاريخية.

عالج مسلسل التغريبة الفلسطينية في مشاهد عناصر مهمة تسهم في حفظ التاريخ ونقل الصورة الواقعية عن البيئة والشخصيات والأحداث التي يتم محاكاتها، حيث اهتم بنقل العادات السائدة في ذلك الزمن سواء إيجابية كانت أو سلبية، إضافة لعنصر الملابس التي كان يلبسها الناس على اختلاف البيئات الجغرافية والطبقات الاجتماعية والمراحل الزمانية، فضلا عن الأحداث والمعلومات في تلك المرحلة، والأماكن والمعالم، أما بالنسبة للشخصيات فيلاحظ أن المسلسل ركز على محاكاة شخصيات رمزية وليس بالضرورة حضور شخصيات حقيقية من ذلك التاريخ، لكنها تعبر عن شخصيات تاريخية عاشت واقع تلك المرحلة، وذلك ينطبق نسبيا على أسماء القرى والأماكن التي اعتمدت على الرمزية.

كما عالج المسلسل الحياة الاجتماعية بصورة واقعية عكست التاريخ المعاش لا سيما في القرية، مصورا الصراعات الاجتماعية بين الناس، ومنتقلا منها للصراعات الأكبر مع الاحتلال البريطاني ومن ثم الإسرائيلي، وهي معلومات نقلت شفويا، ومن خلال إعادة تمثيلها ومحاكاتها في المسلسل تتحول إلى حفظ هذا الواقع الاجتماعي التاريخي.

إن المعالجة الدرامية للروايات الشفوية جعلت من تاريخ تلك المراحل موثقا بصورة تفوق التوثيق المكتوب، حيث صارت صورا مخزنة بمشاهدها المحاكية للواقع في عقول جيل من الفلسطينيين الذين لم يعيشوا تلك الأحداث وليست لديهم صورة واضحة عن مجريات تلك المرحلة الزمنية.

- (1). Abdallah Adway, Portrayal Characters in Historical Drama: An Analytical and Critical Study.. 3, 2021, Journal of Afaque Cinemaia, Vol. 8, pp. 297-284.
- (2). إبراهيم حمادة. هوامش في الدراما والنقد. القاهرة: المكتبة الثقافية، ١٩٨٨. صفحة ٥٢.
- (3). Abdallah Adway, Portrayal Characters in Historical Drama: An Analytical and Critical Study.. 3, 2021, Journal of Afaque Cinemaia, Vol. 8, pp. 297-284.
- (4). Abdallah Adway, The Elements of Dramatic Treatment and the Effectiveness of Historical TV Drama. 1, 2023, Journal of Arab & Muslim Media Research, Vol. 16, pp. 97-112.
- (5). محمد عمارة. الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٥. صفحة ١٠.
- (6). إسلام السقا. السينما الفلسطينية.. رواية الوجود من القدس إلى الجليل. الجزيرة نت. ٢٠١٧.
- (7). سامر خويرة. مسلسل "أم الياسمين" ... قصة فلسطين منذ الانتداب. العربي الجديد. ٢٠٢٣. www.alaraby.co.uk/.
- (8). مسلسل باب العامود. <https://www.youtube.com/@alquds16/about>.
- (9). صديقي عبد القادر. القضية الفلسطينية من خلال الدراما السورية: دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من حلقات المسلسل التلفزيوني السوري التغريبة الفلسطينية ٢٠٠٤. رسالة ماجستير: جامعة الجزائر ٣، ٢٠١٦.
- (10). Abdallah Adway, and Saad Aljonaidi, National Mobilization Through the Arts after Oslo: An Analytical Study of Palestinian Drama Series, Istanbul : s.n., 2022. Transformations in Palestinian Society after Oslo.
- (11). عادل يحيى. من يصنع التاريخ؟ التأريخ الشفوي للانتفاضة، دليل للباحثين والمعلمين والطلبة. القدس : مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي، ١٩٩٤.
- (12). عبد الفتاح أبو عليّة. التاريخ الشفوي السعودي: تطبيقاً على تجربة دار الملك عبد العزيز. غزة : الجامعة الإسلامية بغزة - كلية الآداب، ٢٠٠٦. مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح. صفحة ٥٣٤.
- (13). Pamela J Shoemaker,. and Timothy Vos. Gatekeeping theory. NewYork and London : Routledge, 2009.
- (14). شاهد mbc. التغريبة الفلسطينية. شاهد <https://shahid.mbc.net>.
- (15). سمير محمد حسين. تحليل المضمون. القاهرة : عالم الكتب، ١٩٨٣.
- (16). Ole R Holsti,. Content analysis for the social sciences and humanities. 1969, Reading, MA: Addison-Wesley.
- (17). سمير محمد حسين. تحليل المضمون. القاهرة : عالم الكتب، ١٩٨٣.
- (18). Klaus Krippendorff, Reliability in content analysis: Some common misconceptions and recommendations. 2004, Human Communication Research, pp. 411-433.
- (19). Jahannes Ehrat, CINEMA AND SEMIOTIC: PEIRCE AND FILM AESTHETICS, NARRATION, AND REPRESENTATION. London : University of Toronto Press Incorporated, 2005.
- (20). Abdallah Adway, The Impact of Television Drama in Understanding History. 1, 2023, Journal of Al-Tamaddun, Vol. 18, pp. 67-78.

المصادر والمراجع

- إبراهيم حمادة. (١٩٨٨). هوامش في الدراما والنقد. القاهرة: المكتبة الثقافية.
- إسلام السقا. (٢٠١٧). السينما الفلسطينية.. رواية الوجد من القدس إلى الجليل. تم الاسترداد من الجزيرة نت: <https://www.aljazeera.net>
- سامر خويرة. (٢٠٢٣). مسلسل "أم الياسمين"... قصة فلسطين منذ الانتداب. تم الاسترداد من العربي الجديد: www.alaraby.co.uk/
- سمير محمد حسين. (١٩٨٣). تحليل المضمون. القاهرة: عالم الكتب.
- شاهد. mbc. (بلا تاريخ). التغريب الفلسطينية. تم الاسترداد من شاهد <https://shahid.mbc.net>
- صديقي عبد القادر. (٢٠١٦). القضية الفلسطينية من خلال الدراما السورية: دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من حلقات المسلسل التلفزيوني السوري التغريب الفلسطينية ٢٠٠٤. رسالة ماجستير: جامعة الجزائر ٣.
- عادل يحيى. (١٩٩٤). من يصنع التاريخ؟ التأريخ الشفوي للانتفاضة، دليل للباحثين والمعلمين والطلبة. القدس: مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي.
- عبد الفتاح أبو عليّة. (٢٠٠٦). التاريخ الشفوي السعودي: تطبيقاً على تجربة دار الملك عبد العزيز. مؤتمر التاريخ الشفوي الواقع والطموح. غزة: الجامعة الإسلامية بغزة - كلية الآداب.
- محمد عمارة. (٢٠٠٥). الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
- مسلسل باب العامود. (بلا تاريخ). تم الاسترداد من <https://www.youtube.com/@alquds16/about>

المصادر باللغة الانكليزية:

- Abdallah Adway. (2021). Portrayal Characters in Historical Drama: An Analytical and Critical Study. *Journal of Afaque Cinemaia*, 8(3), 297-284. Retrieved from <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/171036>
- Abdallah Adway. (2023). The Elements of Dramatic Treatment and the Effectiveness of Historical TV Drama. *Journal of Arab & Muslim Media Research*, 16(1), 97-112. doi:https://doi.org/10.1386/jammr_00058_1
- Abdallah Adway. (2023). The Impact of Television Drama in Understanding History. *Journal of Al-Tamaddun*, 18(1), 67-78. doi:<https://doi.org/10.22452/JAT.vol18no1.6>
- Abdallah Adway & Saad Aljonaidi. (2022). National Mobilization Through the Arts after Oslo: An Analytical Study of Palestinian Drama Series. Istanbul.
- Jahannes Ehrat. (2005). CINEMA AND SEMIOTIC: PEIRCE AND FILM AESTHETICS, NARRATION, AND REPRESENTATION. London: University of Toronto Press Incorporated.
- Ole R. Holsti. (1969). Content analysis for the social sciences and humanities. Reading, MA: Addison-Wesley.
- Klaus Krippendorff. (2004). Reliability in content analysis: Some common misconceptions and recommendations. *Human Communication Research*, 411-433.
- Pamela J. Shoemaker & Timothy Vos. (2009). Gatekeeping theory. New York and London: Routledge.